

## قصة

### الدينار الذهبي وتجارته الرباحة

### و الدنانير المغشوشة و تجارتها الخاسرة

بقلم عبدالعزيز ناصر عبدلي

الحق كالذهب الخالص، كلما امتحن ازداد جودة، والباطل كالمغشوش المضيء، إذا امتحن ظهر فساد<sup>1</sup>.  
فالدعوة السلفية و الدعوات المخالفة لها مثلها كمثّل دينار ذهبي أصيل لا يحول و لا يتغير ، التجارة به رابحة ، و كل عاقل لا يتاجر إلا بالمُربح والذي لا يُقبل غيره لأنه هو المطلوب ، و هو الطريق الصحيح الذي اتفق عليه العقلاء .

وإن تحصيل الدينار الذهبي يتطلب صدقا و عملا صالحا وصبرا وقبل ذلك أن يكون مصدره الأصلي صافيا نقيا يعتمد على من عرفوه أولا وهم يعرفون ما يصلحه و ما يفسده كما يتقنون التجارة الرباحة به فمن سلك هذا المسلك لا شك أنه من الرابحين ، وليس كل واحد يقدر على هذا الطريق لأنه محفوف بالمكاره ، لكن راح أقوام من ضعاف النفوس ضعاف العقول و التفكير إلى ابتداع دنانير مغشوشة، تحصيلها يتم بطرق لم يعرفها العقلاء الأوائل و كلها محفوفة بالملذات و الشهوات وراحوا يتاجرون بها تجارة مغشوشة يندع بها كل سفيه قليل العقل والتفكير .

و هنا أصبحت تجارة الدينار الأصيل أمام تجارة الدنانير التي تخالفه في أصله و منشئه و تجارته ، وأصبحت هذه الدنانير المخترعة ، تريد أن تزيعه و تغلبه ، وهنا برز عقلاء الأمة و أدكيائوها ومخلصوها فميزوا ذلك الدينار عن بقية الدنانير حتى يحافظوا على أصله و تجارته الرباحة ، ويظهر زيف التجارات المغشوشة بالدنانير المزيفة ، فأعلنوا أصله وسموه به " الدينار الذهبي " وبينوا مصدره و تجارته الرباحة بل ووضعوا أصولا وقواعدا لتجارته بجميع أنواعها فانتشرت بين الأمة وقادتها للخير وخابت تلك الدنانير فراح أصحابها يستعملون كل مكر وخداع و غش وتزوير لإبقاء تجارتهم الكاسدة ،

<sup>1</sup> - الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية 88/1

لكن هيهات هيهات ( فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ )<sup>2</sup> ، و هكذا يبقى الدينار الأصل و تجارته الربحة وخابت الدنانير و تجارتها الخاسرة و الفضل لله وحده .

و أما القصة وغايتها فالدينار الذهبي دين الإسلام ، وأما تمييزه بالذهبي فهي السلفية وهي الدين الصحيح و التجارة الربحة ، قال الله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ " <sup>3</sup> هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم، وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال :

{ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } . ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله فلهذا قال: { وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ } بأن تبذلوا نفوسكم ومهجمكم، لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك، ولو كان كريها للنفوس شاقا عليها، فإنه { خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانشراحه.

فتأمل بارك الله فيك هذا المثال البديع يزال عنك كثير من الشبه ينشرها ضعاف العقول والتفكير ، وأما الدنانير المغشوشة فهي تلك المناهج والطرق المبتدعة و تجارتها الخاسرة فهذه الطرق الصوفية والإخوانية و التبليغية ، والشيعية الرافضة ، الدرزية ، النصيرية ، العلوية و الأحزاب البدعية وغيرها كلها دنانير مغشوشة المتاجرون بها خاسرون مهملون للأصول ضيعوا الدين والدنيا .

وأما عقلاء الأمة و أدكيائها و مخلصوها الذين ميزوا الدينار عن بقية الدنانير حتى يحافظوا على أصله وتجارته الربحة فقد ثبتوا أصل " الدينار " وبينوا أصله " الذهبي " ليميز الدينار عن بقية الدنانير المغشوشة التي لا أصل لها فميزوا الإسلام الصحيح بكلمة " السلفية " ليظهر المدعي من الصادق فكل يدعي وصلا بليلي وليلى لا تقرر لهم بذاك فأولئك هم علماء السلف الربانيين .

و هنا تظهر أصالة الدعوة السلفية " فالسلفية بالنسبة لأمة محمد ﷺ هي فقه الكتاب والسنة على وفق فهم

<sup>2</sup> - الرعد جزء من الآية 17  
<sup>3</sup> - الصف 10

السلف الصالح لأن السلفية وصف لكل من مضى بعد رسول الله ﷺ متبعاً أثره" <sup>4</sup>

ولا تتم دعوة الحق إلا بهذا المنهج السلفي القائم على توحيد الله الكامل، وتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والتزكية على صالح الأخلاق والآداب، فإنه بقدر اتباع هذا المنهج والتربية عليه والالتزام به يكون الابتعاد عن الانحراف والضلال والتبعية. <sup>5</sup>

فالسلفية - بصفتها منهجاً لفهم الإسلام والتزامه - تمثلت في جيل الصحابة بصورتها النقية؛ ولهذا كانت الدعوة إلى السلفية دعوة إلى الرجوع لذلك المنهج، ولأن الدعوة إلى السلفية هي دعوة إلى منهج صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

فتحصيل الدينار الذهبي يتطلب صدقا و عملا صالحا وصبرا وقبل ذلك أن يكون مصدره الأصلي صافيا نقياً يعتمد على من عرفوه أولا وهم يعرفون ما يصلحه و ما يفسده كما يتقنون التجارة الرباحة به

إنه السلف الصالح من المهاجرين والأنصار الذين تلقوا الإسلام صافيا نقياً و لم يبدلوا و لم يغيروا فكانت تجارتهم التجارة الرباحة " فحسبي أنني معتقد أن ذلك هو الطريق الأقوم الذي أمر الله تعالى به المؤمنين وبينه نبينا محمد سيد المرسلين وهو الذي سلكه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وفيهم الأئمة الأربعة - الذين ينتمي اليوم إلى مذاهبهم جمهور المسلمين - وكلهم متفق على وجوب التمسك بالسنة والرجوع إليها وترك كل قول يخالفها مهما كان القائل عظيماً فإن شأنه ﷺ أعظم وسبيله أقوم ولذلك فإني اقتديت بهداهم واقتفيت آثارهم وتبعت أوامرهم بالتمسك بالحديث وإن خالف أقوالهم ولقد كان لهذه الأوامر أكبر الأثر في نهجي هذا النهج المستقيم وإعراضي عن التقليد الأعمى فجزاهم الله تعالى عني خيراً " <sup>6</sup>

فاتباع السلف الصالح ولزوم منهجهم واجب لأنه الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه .

قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} <sup>7</sup>.

وقال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا

<sup>4</sup> - العلامة عبيد الله الجابري في "الحد الفاصل ص 43

<sup>5</sup> - الشيخ محمد علي فركوس الكلمة الشهرية - 2 - حال الأمة الإسلامية والسبيل الصحيح لصلاحها

<sup>6</sup> - من مقدمة صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ العلامة الفقيه الألباني .

<sup>7</sup> - التوبة 100

فتوعد الله من اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد في الآية السابقة متابعهم بالرضوان.

وقال ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"<sup>9</sup>.

فهذه "الخيرية" التي شهد النبي ﷺ بها لهذه القرون الثلاثة تدل على تفضيلهم وسبقهم وجلالة قدرهم وسعة علمهم بشرع الله، وشدة تمسكهم بسنة رسوله ﷺ، وهذا ما تؤكد الأحاديث التالية.

قوله ﷺ: "افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة" قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"<sup>10</sup>.

وقوله ﷺ: "... فإنه من يعيش بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، فتمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"<sup>11</sup>.

فحث ﷺ بأن يتبعوا سنته وسنة من بعده من الخلفاء الراشدين، عند وقوع التفرق والاختلاف لأنهم أعرف الناس بالإسلام. فهذا مثل الدينار الذهبي والدنانير المغشوشة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجدته، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عامّاً إلا لرسول الله ﷺ، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عامّاً إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين. فإن الهدي يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء، فإنهم قد يجمعون على خطأ"<sup>12</sup>.

ولا شك أن الإنسان قبل أن يقدم على أداء عمل ما، لا بد أن يعرف الطريقة التي يؤدي بها ذلك العمل على وجهه الصحيح، حتى يكون هذا العمل صحيحاً، مؤدياً لنتيجته التي ترضى من ورائه، فكيف يقدم الإنسان على عبادة ربه التي تتوقف عليها نجاته من النار ودخوله الجنة: كيف يقدم على ذلك بدون علم؟!

<sup>8</sup> النساء 115

<sup>9</sup> - رواه البخاري ومسلم .

<sup>10</sup> - "السلسلة الصحيحة" 203

<sup>11</sup> - صححه الألباني في الإرواء 2455.

<sup>12</sup> منهاج السنة 262/5-263

ومن ثم افترق الناس بالنسبة للعلم والعمل ثلاث فرق :

الفريق الأول : الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح ، وهؤلاء قد هداهم الله صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

الفريق الثاني : الذين تعلموا العلم النافع ولم يعملوا به ، وهؤلاء هم المغضوب عليهم من اليهود ومن نحا نحوهم .

الفريق الثالث : الذين يعملون بلا علم ، وهؤلاء هم أهل الضلال من النصارى ومن نحا نحوهم .

ويشمل هذه الفرق الثلاث قوله تعالى في سورة الفاتحة التي نقرأها في كل ركعة من صلواتنا : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : وأما قوله تعالى : غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم ، والضالون العاملون بلا علم :

فالأول: صفة اليهود

والثاني: صفة النصارى

وكثير من الناس إذا رأى في التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون ، ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم ، وهو يقرأ أن ربه فرض عليه أن يدعو بهذا الدعاء ، ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات !! فيا سبحان الله ! كيف يعلمه الله ويختار له ويفرض عليه أن يدعو ربه دائما ، مع أنه لا حذر عليه منه ، ولا يتصور أن فعله هذا هو ظن السوء بالله ؟ !<sup>13</sup>

فمن أراد النجاة فعليه معرفة مذهب السلف، والتمسك به، والدعوة إليه، فهو الطريق النجاة، وهو سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا، ومن تركها هلك وغرق في الضلال، فلا نجاة لنا إلا بمذهب السلف، ولا يمكن أن نعرف مذهب السلف إلا بالتعلم، تعلمه وتدرسه ودرسته مع سؤال الله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) ندعو الله أن يوفقنا له وأن يثبتنا عليه لابد من هذا، ليست المسألة مسألة دعوى، والدعوى إذا لم يقيموا عليها بينات أهلها أدعياء، ليست المسألة مسألة انتساب والله جل وعلا يقول: (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) يعني: بإتقان، ولن تتقن مذهب السلف إلا إذا عرفته وتعلمته، ولن تتمسك به إلا إذا صبرت عليه، ولا تسمع للدعايات المضللة الصارفة عنه والمزودة فيه هذا

<sup>13</sup> - الملخص الفقهي صالح بن فوزان بن عبدالله آل فوزان

هو الطريق الصحيح طريق النجاة كلها في النار إلا واحدة قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي" هذا هو منهج السلف، وهو طريق النجاة، الموصل إلى الجنة، لا طريق غيره، كل الطرق غيره ضالة: (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) هو صراط الله، وغيره سُبُل مضللة، طرق منحرفة على كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليه.

والنبي ﷺ تخوف من هؤلاء الدعاة دعاة الضلال الذين يريدون أن يصرفوا الناس عن منهج السلف، وأخبر أنهم دعاة على أبواب جنهم من أطاعهم قذفوه فيها، فالحذر شديد من هؤلاء، وكلما يتأخر الزمان تشتد الغربة وتكثر الفتن فيحتاج المسلمون إلى عناية أكثر بمنهج السلف.

من هؤلاء المضللين من يقول الناس كلهم مسلمون، مسلمون على أي طريق؟ مسلمون على طريق الرسول وأصحابه نعم على الرأس والعين، أم مسلمون بالاسم وهم على طرق منحرفة على منهج فلان وعلان فهم ضالون على طريق يؤدي إلى جهنم، ما هي المسألة انتساب للإسلام فقط، انتساب وحقيقة ولا يمكن هذا إلا بالعلم النافع والعناية بالدراسة، ولذلك تجدون العلماء يهتموا بالعقيدة وأبوابها وفصولها ومسائلها، وألفوا فيها مطولات ومختصرات لدراسة مذهب السلف والعناية بها والتمسك به، والسير عليه.

**فالمسألة تحتاج إلى اهتمام لاسيما مع استحكام الظلام والضلال يحتاج المسلم إلى نور يسير به في ظلمات الضلالات والجهالات.**

اليوم يكثر من يتعالم ويدعي العلم والمعرفة وهو لم يتلقى العلم عن مصادره وعن أصوله، يتلقاها عن أمثاله أو من الكتب أو من الثقافة كما يقولون وهذا ليس موصلا إلى الخير ولا إلى الطريق الصحيح، لابد من التعلم الصحيح لمنهج السلف لأجل التمسك به والسير عليه، لابد من الصبر على ما ينالك في سبيله من اللوم والتحقير وغير ذلك، تسمعون الآن التحقير والتنديد لمن يتمسك في مذهب السلف، ويقولون هذا رجعي هذا وهذا، لا يزهدك في الحق مثل هذه الترهات والأباطيل، تمسك بهذا المنهج السليم لأنه طريق النجاة ولهذا قال: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مَنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"، "فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي" عند الاختلاف ما ينجي إلا التمسك بسنة الرسول ﷺ، وسنة خلفاء الراشدين المهديين هذا طريق النجاة، طريق السلامة، طريق الجنة.

فلنعتني بمذهب السلف ولا يزهدنا فيه من يقلل من شأنه أو يصفه بالأوصاف الذميمة، لا يقلل من شأنه في نفوسنا؛ بل يزيد هذا في نفوسنا لأنهم ما حاربوه إلا لأنه طريق حق وهم يريدون الضلال.

فاحذروا منهم يا عباد الله، ولا تكتفوا بمجرد الانتساب، ولا تكتفوا بالتعاليم بدون تعلم، تلقى العلم عن العلماء المعروفين به، والعلماء المستقيمين على الطريق الصحيح، تجنبوا هذه الطرق المنحرفة التي حذرنا الله منها: (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) سبيل الله سبحانه وتعالى، صراط الله.

فنحن بحاجة ماسة إلى هذا خصوصاً مع اشتداد الفتن الآن وكثرة دعاة الضلال، وكثرة الوسائل التي تنشر الشر بين الناس، ووسائل شر دقيقة تصل إلى الناس في بيوتهم، وعلى فرشهم تدعوا إلى الضلال، تدعوا إلى الإباحية، تدعوا إلى الشهوات المحرمة، تدعوا إلى الأفكار المنحرفة، يسمون هذا بسعة الأفق، سعة الثقافة ولا تبقى متحجراً، ولا تبقى متشدداً، هذا لا يزهده المسلم في منهج السلف ومذهب السلف وعلم السلف.

فطريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم من طريقة الخلف، علم السلف صافي من الكتاب والسنة، وعلم الخلف فيه دخيل، فيه الخلط الكثير غير مصفى، أما علم السلف فهو مصفى ولهذا تجدون كتب السلف كلما تقادم تجدونه أصفى وأقل تكلفاً، ولهذا يقول العلامة ابن رجب رحمه الله في رسالته ((فضل علم السلف على علم الخلف)) يقول: السلف كلامهم قليل وعلمهم غزير، والخلف كلامهم كثير وعلمهم قليل.

وقال شيخ الإسلام :

قَوْلُهُ : { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ } وَالسَّلَفُ الْمُؤْمِنُونَ مُنِيبُونَ أَيَّ فَيَجِبُ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِمْ . وَمِنْهَا قَوْلُهُ : { اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ } وَالسَّلَفُ كَذَلِكَ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : { وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ } وَمَنْ خَرَجَ عَنْ إِجْمَاعِهِمْ فَقَدْ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ.<sup>14</sup>

فلنتنبه لهذا الأمر، هذا هو منهج السلف الذي لا نجاة لنا إلا بالسير عليه، والصبر عليه بعد أن نعرفه ونتعلمه على الطريقة الصحيحة غير المزورة والملبسة، فيه أشياء تنسب إلى السلف وهي باطلة ليست من مذهب السلف فلنحذر من هذا.<sup>15</sup>

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

<sup>14</sup> - مجموع الفتاوى 271/20

<sup>15</sup> - منهج السلف الصالح وحاجة الأمة إليه الشيخ العلامة الفوزان - موقع الشيخ - <http://www.alfawzan.af.org.sa/node/15030>